﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المؤمنون: 90]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بيانُ الحقِّ المبين بعد ذِكْر افتراء المُفترين

لمّا ذكرتِ الآيةُ السّابقة ادِّعاءَ الكافرين أنَّ القرآن ليس بحقٍّ، وكانوا بذلك كاذبين مُفترين في وصف القرآن بأنَّه باطلٌ؛ ناسبَ أن يُثبت عكسَ ما زعموه افتراءً وكذبًا فقال: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾؛ لأنَّهُ أتى بالحُجج الواضحات، والمُعجزات النّيِّرات، ولم يَبقَ لمُجادِلٍ أن يزعم أنَّه باطل، ومَن افترى ونسبَ القرآنَ لغير الحقّ فيَصْدُق فيه قولُ الحقِّ سبحانه: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾؛ فبان كذبُهم وافتراؤهم؛ فهو انتقالٌ من بيانِ وصف المُفترين إلى وصف القول المبين.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الحَقُّ في الأصل: الثُّبوت والدّلالة على إحكام الشّيء، يُقال: حَقّ الأمرُ يَحِقّ حقًّا، فهو حَقٌّ؛ أيْ: ثبت واستقرَّ، وقيل: أصلُه المطابقةُ والموافقةُ، كمُطابقة رِجْلِ البابِ في حُقّه لدورانه فيه على استقامةٍ[1]، وورد لفظُ الحقِّ في القرآنِ الكريم مُرادًا به عددٌ من المعاني؛ من مثل: اللّه، والقرآن، والتّوحيد، والإسلام، والعدل، والصّدق، والحاجة، والبيان، والمُراد ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ في الآية الكريمة ما أخْبَرَ به جلَّ شأنه من التَّوْحيدِ والبَعْثِ ممّا أنكره المشركون.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الحقُّ قوّةٌ ظاهرةٌ والـكـذبُ وهـمٌ ممحوقٌ

بعد أن جاء توبيخُ المشركين المُكذّبين في الآيات السّابقة على اتّباعهم خُطوات الشّيطان والهوى والانقياد للخديعة والتّقوّل على اللّه؛ أضربتِ الآية عن كلِّ ما ذكروه من عقائدَ فاسدةٍ، وما ادَّعوه

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المُفردات: (حقق).

من أقاويلَ باطلةٍ؛ فقال: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾؛ أي: الصّدق الذي لا مِريةَ فيه؛ بأنَّ البعث حقٌّ والنُّشور حقٌّ؛ فأخبرهم بالحقِّ الثّابت والوعد الصّادق، ثمَّ قرَّر كَذِبَهم وإفكَهم وضلالَهم فقال: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾؛ أيْ: كاذبون في دعواهم أنَّ البعث غيرُ واقع، وأنّ مع الله تعالى آلهةً أخرى، وأنّ الرّسول ﷺ لم يَجئْهم بالحقّ الذي يُريدونه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نوع ﴿بَلْ﴾ ودلالتُها:

إذا فلقَ الحقُّ بحُجَّته أضربَ عن الباطلِ بوهمِه

أفادت ﴿بَلْ﴾ الإضرابَ الانتقاليَّ؛ وهو الانتقالُ منَ المجاوبةِ إلى تقريرِ الحقِّ مُبيِّنًا بُطلانَ ما يدَّعون عن طريقِ إثباتِ بطلانِه في ذاتِه وبيانِ صحّةِ نقيضِه؛ فانتقلتِ الآيةُ من المجاوبة التي تكون بين المشركين وبين النَّبيِّ ﷺ؛ فوجَّه أنظارَهم إلى ما يُنبِئُ عنِ الحقِّ - وهو الوحدانيّةُ - فقرّرها من أقوالهم؛ لإثباتِ زيفِ جدالهم ودعاويهم؛ فأعلمهم أنّ الكون كلّه مخلوقٌ لله تعالى مُتضمِّنٌ وحدانيتَه تعالى في العبادة[2].

دلالة التّعبير بالماضي:

إتيانُ الحقِّ ثباتٌ أكيدٌ وبرهانٌ تليدٌ

استعمل النّظمُ الكريمُ صيغةَ الفعلِ الماضي ﴿أَتَيْنَاهُم﴾ تأكيدًا لسُطوعِ براهينِ الحقِّ، وثباتِ معالمه، وقوّةِ أدلّته فيما مرّ في الآيات الكريمة التي عرضت جدالَ هؤلاء المُعاندين المُنكِرين مع النّبيّ ﷺ، كما جاء التّعبير بالفعل الماضي لتأكيد أنّ أمر الحقّ مُقرّر ثابتٌ لا تغييرَ فيه ولا تبديل.

سِرُّ إسنادِ الفعل إلى الضَّمير:

القضايا العُظمى يَحسُن معها الإسنادُ إلى العظيم

أسنَد النّظمُ الكريم الفعلَ ﴿أَتَيْنَاهُم﴾ إلى نون الجمع، ولم يَقُلْ مثلًا: (بل أتاهم الحقّ)، مُجرّدًا من نسبته لله ﷻ؛ وذلك للدّلالة

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5111، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 18/ 70.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5111.

على أهمّيّة الأفعالِ المُسنَدة في هذا الخِطاب الرّبّانيّ، فقضايا التّوحيد والبعث والنّشور ونفي الولدِ عنِ اللّه تباركت آلاؤه تقتضي إظهارَ نسبتِها إلى الفاعل الحقيقيِّ جلَّ في علاه؛ فجاء التّعبير بنون العَظَمة للإشارة إلى أنَّ هذه القضايا عظيمةُ النّسبةِ، وذلك لأنَّها لُبُّ عقائد الإيمان باللّه ﷻ، ومِن ثَمَّ أسهمت نون العَظَمة في لفت الانتباه وإثارة الأذهان.

الغرض من ذِكر المفعول به:

العناية بالمُعْرِض تـزيـدُه تبكيتًا وتقريعًا

آثرَ النَّظمُ الكريم النَّصَّ على المفعولِ به في قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَٰهُم﴾ دونَ أن يقول: (أتينا بالحَقّ)؛ وذلك لبيانِ أنَّهم كانوا مقصودين بهذا الحقِّ الذي أتى اللّهُ به سبحانه، وأنَّهم قابلوا تلك العنايةَ وهذه الرّعايةَ بالتّكذيب، ففَرْقٌ بين أن يكون الإتيانُ بالحقّ عامًّا لكلِّ أحدٍ، وبينَ أن يكون عامًّا خُصّ به قومٌ نوعَ خصوصٍ؛ ففيه تبكيتٌ لهم وتقريعٌ لإعراضِهم.

معنى الباء ودلالتُها في: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾:

تجسيد معنى الـحـقِّ عـلى سبيل الاستعارة المَكْنيَّة

الباء في قوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ للتّعدية[1]، ولهذه الباء دلالةٌ؛ وهي تقوية فعلِ الإتيان وتجسيدِ معنى الحقّ، فكأنَّ الحقَّ شيءٌ يُؤتَى به، وهذا يُنبئ عن قوّة الحقِّ وأثره في نفوسهم، فهم يرونه بأعينهم ويسمعونه بآذانهم، ويلمسون آثارَه في الحياة؛ ففيه تشبيهُ الحقِّ - وهو أمرٌ معقول - بمحسوسٍ يُؤتى به، ودلَّ عليه لازمُ فعلِ الإتيانِ على سبيل الاستعارة المَكنيَّة الأصليَّة.

براعة التَّقابلِ بين مُفرَدَتي الحقِّ والكذبِ:

اجـتـمـاعُ ثلاثة فـنـونٍ إيـجـاز القصر، والطِّباق الـخـفـيِّ، والاحتباك

بين قوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ وقوله: ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾ طباقٌ خفيٌّ، حيثُ إنَّ الحقَّ يشتمل على الصِّدقِ، والكذبَ يشتمل على الباطل، فقابل بينَ المُتضادَّيْن؛ إذْ بينهما تقابلٌ خفيٌّ، ونُكتَتُه تكمن في جمعه معانيَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 112.

كثيرةً في ألفاظٍ قليلةٍ، وهو على هذا من إيجاز القصر، ونستطيع أن نَعُدَّه من الاحتباكِ، والتّقدير: (بل أتيناهم بالحَقّ وإنّا لصادقون، وأتَوْنا بالباطل وإنّهم لكاذبون)؛ فاكتفى بما ذَكَر؛ ففيه احتباكٌ بديعٌ، ففي هذا التَّقابل ثلاثة أنواعٍ من البلاغة؛ وهي: الطّباق الخفيّ، وإيجازُ القَصْر، والاحتباك، ومثل هذا لا يكون إلّا في كلام العزيز الحميد.

نوع الواو ودلالتُها في ﴿وَإِنَّهُمْ﴾:

يقوى في هذه الواو معنى الحال، وتحتمل العطف

الواو في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ إمّا أن تكون حالًا منَ المفعول به في قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَاهُم﴾؛ أيْ: أتيناهم بالحقّ الصّادق الواضحِ حالَ كونِهم يُكذِّبون؛ فانظر إلى ذلك التَّباين والبُعد عن الاستجابة للحقِّ المُبين، وإمّا أن تكون عاطفةً لهذه الجملة ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ على الجملة السّابقة ﴿أَتَيْنَاهُم﴾، فتكون استئنافيَّةً لا محلَّ لها من الإعراب؛ أيْ: أتيناهم بالحقّ وهم كاذبون، وكون الواو للحال أنقى في البلاغة وأرقى في البيان.

بلاغةُ توالي التَّوكيدات:

إذا عظُم الجُرْمُ حَسُنَ التَّوكيدُ ورسخَ البيان

اشتمل قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ على ثلاثة مُؤكِّدات؛ وهي: (إنَّ)، واللّام، واسميَّة الجملة، وقد تعاضدت هذه المُؤكِّدات الثّلاثةُ على بيان عِظَم جُرْم هؤلاء المُكَذِّبين بالآيات والبعث؛ فجاءت المُؤكِّدات الثّلاثة متواليةً؛ لتقرعَ أسماعَهم دفعًا لإنكارهم، وتحريكًا لعقولهم التي تعامَتْ عن رؤية الحقّ الواضح، وأبَتْ إلّا العنادَ والمكابَرة[1].

دلالةُ التّعبير باسم الفاعل:

الجمعُ بين أصالتهم في الكذبِ وتجدُّد ذلك منهم

آثَر النَّظمُ الكريم اسمَ الفاعل على الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾؛ وذلك لبيان أصالتهم في الكذبِ ورسوخهم فيه؛

(1) بسيوني فيود، من هدي القرآن، تفسير بلاغيّ لسورة المؤمنون، ص: 123.

فالجمعُ بين إشارة الاسميَّة ودلالةِ الفعليَّة في اسم الفاعل؛ يدلُّ على أنَّهم كاذبون أصالةً ويكذبون مُجدَّدًا، وهذا أَشدُّ في توبيخهم، وأقوى في ردِّ مقالتِهم.

بلاغةُ التَّذييل في الآية:

التَّذييلُ مُبرهِنٌ على إعراضِهم وبيانِ أمراضِهم

قولُه تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ تذييلٌ توكيديٌّ لما تقدَّم ذِكْرُه؛ وهو اعترافُهم بما هو كائنٌ للّٰه تعالى وهو الحَقُّ، ومفصِحٌ عن سبب إنكارهم البعثَ والتّوحيد - وهو كذبُهم - فإنكارُهم لا لأنَّ ما أتاهم باطلٌ وكذبٌ؛ بل لأنَّه حقٌّ وصدقٌ يُخالف أهواءَهم، فكَذَبوا حسدًا وحِقدًا وكراهيَةً، وتُمثِّل الآيةُ إيجازًا صريحًا في موقفهم منَ الرِّسالة والرّسول.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»